Sharwes Scientific Journal (SSJ)
Volume 6, Issue 1, 2025, pp 209-231, ISSN 3079-6040

The Geopolitical Bet of the Russian Invasion of Ukraine: A Revival of Realist Theory and a New Formation of the Geopolitical Map of the World

Hamid Mallah

Hassan I University of Settat, Morocco.

Corresponding Author: Hamid Mallah | hamidmallah08@gmail.com

Received: 24-03-2025 | Accepted: 13-04-2025 | Available online: 18-04-2025 | DOI:10.26629/ssj.2025.12

ABSTRACT

The Russian-Ukrainian war is considered one of the most prominent geopolitical threats to European and global security. The war broke out in the context of Russia's fear of Ukraine's entry into the North Atlantic Treaty Organization (NATO) and its expansion into Central and Eastern Europe, and the West's efforts to contain Ukraine through Euro-Atlantic expansion and to encircle Russia geopolitically and geostrategically. Implementing Russia's famous advice. American strategic thinker Zbigniew Brzezinski says: If we want to get rid of...Russia, we have to separate from Ukraine.

In the face of this situation and the threat it represents to its national and strategic security and the violation of its vital space, Russia seeks to defend itself, annex Ukraine to its geography, and restore the glories of the Soviet Union on the one hand, and not leave the matter to the West to exploit it as a trump card against it on the other hand.

Based on the dimensions of the geopolitical stakes of the Russian invasion of Ukraine, we present readings and explanations for this invasion, which has moved from a crisis to a war and has become a serious threat to global security in its comprehensive sense.

Keywords: Russian invasion of Ukraine - Realist theory - Geopolitics - New Eurasianism - NATO.

الرهان الجيوبوليتيكي للغزو الروسي لأوكرانيا: إحياء للنظرية الواقعية وتشكيل جديد للخريطة الجيوسياسية للعالم

حميد ملاح

جامعة الحسن الأول بسطات/ المملكة المغربية

المؤلف المراسل: حميد ملاح | hamidmallah08@gmail.com

استقبلت: 24-03-2025م | قبل ت:13-04-2025م | متوفرة على الانترنت | 18-04-2025م | DOI:10.26629/ssj.2025.12

ملخص البحث

يعتبر الغزو الروسي لأوكرانيا من أبرز التهديدات الجيو–سياسية التي تواجه الأمن الأوروبي والعالمي على حد السوء. وقد اندلع هذا الغزو في سياق الخوف الروسي من انضمام أوكرانيا لحلف الناتو وتمدده وسط وشرق أوربا، وسعي الغرب إلى احتـواء أوكـرانيا عن طـريق التـوسع الأورو–أطلسي ومحاصرة روسيا

"Articles published in *Sharwes Sci J* are licensed under a Creative Commons Attribution-Non-Commercial 4.0 International License."

جيو–سياسيا وجيو–استراتيجيا، تطبيقا للنصيحة الشهيرة للمفكر الاستراتيجي الأمريكي "زبيغنيو بريجنسكي" التي تقول: إذا أردنا التخلص من روسيا علينا أن نفصلها على أوكرانيا.

أمام هذا الوضع وما يمثله من تهديد لأمنها القومي والاستراتيجي وخرق لمجالها الحيوي، تسعى روسيا إلى الدفاع عن نفسها، وضم أوكرانيا لجغرافيتها واستعادة أمجاد الاتحاد السوفيتي من جهة، وعدم تركها للغرب لاستغلالها كورقة رابحة ضدها من جهة ثانية.

وانطلاقا من أبعاد رهانات الجيوبوليتكية للغزو الروسي لأوكرانيا نقدم قراءات وتفسيرات لهذا الغزو، الذي انتقل من أزمة إلى حرب صارت تشكل تهديدا خطيرا على الأمن العالمي بمفهومه الشامل.

الكلمات المفتاحية: غزو روسية لأوكرانيا– النظرية الواقعية– الجيوبوليتيكة – الأوراسية الجديدة – حلف شمال الأطلسي.

مقدمة:

لا شك أن الغزو الروسي لأوكرانيا تسبب في أزمات وتداعيات تهدد البشرية (سياسية، أمنية، عسكرية، إنسانية، اقتصادية، طاقوية وغذائية...) إلى جانب تأثيره على مستقبل النظام العالمي كما أنه يتجه نحو إعادة تشكيل الخريطة الجيو–سياسية للعالم.

وفي ضوء إعادة التموضع الجيو–سياسي، وفق منطق القوة يعتبر الغزو الروسي لأوكرانيا الخيار الاستراتيجي الأنسب لحماية ما تعتقد أنه حق لها وهو حماية أمنها القومي والاستراتيجي ومجالها الحيوي بخلق مناطق عازلة بينها وبين حلف الناتو الذي أصبح يتوسع شرقا، وكبح طموح القوى الغربية التي تهدف إلى خلق تحالفات لحصرها والاقتراب من حدودها (إبعاد الناتو عن حدودها وتحويل أوكرانيا لدولة محايدة وعدم ضمها لحلف الناتو والاتحاد الأوروبي).

وفي ظل تداعياتها الجيو–سياسية نقدم عددا من المتغيرات التفسيرية المتباينة والتصورات الابستمولوجية في محاولة لفهم التوجهات البرغماتية الجديدة لهذه الحرب بتحديد أسبابها وغاياتها وأبعادها الجيوبوليتيكية التي أعادت إحياء النظرية الواقعية كنظرية بارزة في العلاقات الدولية ومحاولة إعادة تشكيل الخريطة الجيو سياسية للعالم.

إشكالية الدراسة:

يعتبر الغزو الروسي لأوكرانيا الأخطر على الساحة الدولية لكونه يؤثر بشكل كبير على المشهد الجيو سياسي في أوروبا الشرقية. وبما أن أوكرانيا تشكل محورا هاما في صراعات القوى الكبرى بحكم

موقعها الاستراتيجي الذي يمثل أهمية جيو سياسية لروسيا خاصة في الفضاء الأوراسي، فإن روسيا ووفقا لرؤيتها الجديدة تحاول إعادة بناء قوتها العالمية من خلال جعل أوكرانيا الخط الأحمر لامتداد التوسع الغربي. لذلك، تحاول الدراسة الإجابة على الإشكالية الرئيسية التالية: ما مدى قدرة روسيا من خلال غزوها لأوكرانيا على تحقيق رهاناتها الجيوبوليتيكية في المنطقة الأوراسية وإعادة تشكيل الخريطة الجيو سياسية للعالم في ظل الصمود الأوكراني المدعوم من الغرب؟

تساؤلات الدراسة:

تتركز تساؤلات الدراسة على:

1-ما الجذور والأسباب الغزو الروسي لأوكرانيا؟

2-ما الرهان الجيوبوليتيكي للغزو الروسي لأوكرانيا من خلال إحياء للنظرية الواقعية وتشكيل جديد للخريطة الجيوسياسية للعالم؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تناقش معضلة الغزو الروسي لأوكرانيا كأكبر تهديد تشهده الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية بتحليل أسبابه ودوافعه ومآلاته ورهاناته الجيوبوليتيكية وتأثيراته في هيكلية النظام الدولي.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1-التعرف على الجذور والأسباب الغزو الروسي لأوكرانيا.

2-توضيح الرهان الجيوبوليتيكي للغزو الروسي لأوكرانيا من خلال إحياء للنظرية الواقعية وتشكيل جديد للخريطة الجيوسياسية للعالم.

فرضيات الموضوع:

الفرضية الأولى: تفترض الدراسة أن الجيوبوليتيكية نظرية جزئية يمكن اعتبارها امتدادا أو تفصيلا للنظرية الواقعية، لذلك فهي عامل أساسي ومؤثر في قوة الدولة.

الفرضية الثانية: تفترض الدراسة أن الغزو الروسي لأوكرانيا يعيد إحياء النظرية الواقعية ونظرية المجال الحيوي.

الفرضية الثالثة: تملك روسيا كل المقومات الجغرافية والثقافية والديمغرافية والدينية لإعادة رسم مجالها الحيوي.

منهج الدراسة:

لمقاربة إشكالية الدراسة والتساؤلات الفرعية، سنعتمد على مجموعة من المناهج، أهمها:

1-المنهج التاريخي: ينطلق من أن للحرب الروسية الأوكرانية جذور وامتدادات تاريخية، من خلال إبراز مسار نشأتها ومسبباتها ومحاولة مواكبة تطوراتها التاريخية.

2- المنهج الوصفي، من خلال وصف البعد الجيوبوليتيكي للغزو الروسي لأوكرانيا من خلال التركي في الفكر الاستراتيجي الروسي باعتبارها قلب أوروبا الشرقية التي تحاول تفسير ملامح السياسة الخارجية الروسية في المنطقة.

3- المنهج التحليلي، الذي يمكننا من تحليل البعد الجيوبوليتيكي للغزو الروسي لأوكرانيا من خلال نظرية المجال الحيوي.

4- **نظرية الدور** التي تحاول تحليل ملامح السياسة الخارجية لروسيا من خلال إبراز دورها الجديد في الفضاء الأوراسي.

تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى:

المبحث الأول: الغزو الروسي لأوكرانيا: في محاولة فهم الجذور والأسباب

المبحث الثاني: الرهان الجيوبوليتيكي للغزو الروسي لأوكرانيا: إحياء للنظرية الواقعية وتشكيل جديد للخريطة الجيوسياسية للعالم.

المبحث الأول: الغزو الروسي لأوكرانيا: في محاولة فهم الجذور والأسباب

دخلت روسيا وأوكرانيا في أزمات جيو-سياسية وجيو-إستراتيجية نتجت عنها حرب بين الدولتين، وهي حرب عسكرية لم تشهدها أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية. وتميزت بكون أسبابها متداخلة ومعقدة بشكل كبير.

الفقرة الأولى: الغزو الروسي لأوكرانيا: الجذور والامتداد التاريخي

تاريخيا، يرجع "بوتين" سبب الأزمة بين روسيا وأوكرانيا إلى مجموعة من الأخطاء التاريخية، وقسم هذه الأخطاء إلى نوعان: أخطاء تعود إلى الحقبة الشيوعية، حيث منح زعماؤها، خاصة "ستالين"، أوكرانيا

الكثير من الهبات التي لا تستحقها، وذلك بهدف الحفاظ عليها كجزء من الاتحاد السوفيتي، مثل منحها أقاليم لم تكن تتبعها كشبه جزيرة القرم ومناطق في شرق أوكرانيا الحالية، والتي يعيش فيها الملايين من الروس، والذين يعانون وفقا للرئيس "بوتين" من السياسات العنصرية والقومية المتطرفة للحكومة الأوكرانية منذ عام 2014. وأخطاء أخرى تعود إلى ما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، تمثلت في منح أوكرانيا وغيرها من جمهوريات وبلدان الحقبة الشيوعية الاستقلال. وهو ما ساعد حلف شمال الأطلسي (الناتو) على التمدد في غالبية تلك الدول المستقلة، وبروز نظرتها لروسيا كعدو[1]. أما حديثا، فتعود أصول الأزمة بين روسيا وأوكرانيا إلى ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي (1991)، باستعادة أوكرانيا استقلالها من جديد وعجز روسيا عن التمسك بها.

وبعد هذا الاستقلال دخلت روسيا وأوكرانيا في أزمات متتالية، وأول هذه الأزمات كانت دبلوماسية في عام 2003، حيث بدأت روسيا وبشكل مفاجئ في بناء سد في مضيق كريتش باتجاه جزيرة كوسا توسلا الأوكرانية، وهو ما اعتبرته كييف محاولة لإعادة ترسيم حدود جديدة بين البلدين، لكن سيتم إيقاف بناء السد نتيجة لقاء ثنائي بين الرئيسين الروسي والأوكراني[2].

كما يعتبر الإطاحة بالرئيس "فيكتور يانوكوفيتش" عام 2014، من الأزمات التي تسببت في توتر العلاقات بين الدولتين، وباعتباره من أكبر الموالين لروسيا ساهم في سيطرة هذه الأخيرة على الأوكرانية، انطلاقا من الضغوطات السياسية للرئيس الروسي "بوتين". وكانت قراراته دائما مرفوضة من قبل الشعب الأوكراني أهمها، القرار الشهير الذي رفض من خلاله توقيع اتفاقية التجارة الحرة والشراكة مع الاتحاد الأوروبي. ومباشرة بعد هذا القرار اندلعت احتجاجات شعبية كبيرة في أوكرانيا عام 2013، والتي أدت في آخر المطاف إلى الإطاحة بالرئيس "فيكتور يانوكوفيتش" والإعلان عن حكومة انتقالية مشكلة من ائتلاف سياسي موسع مؤيد للغرب برئاسة "ألكسندر تورتشينوف" إلى عقد انتخابات جديدة (2014) التي فاز بها "بيترو بوروشينكو".

[1] حسن أبو طالب، "روسيا وتقسيم أوكرانيا.. خطوة لتصحيح أخطاء التاريخ إلا" ضمن ملفات "الحرب الروسية– الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي" (مصر: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، يوليو 2022)، ص 14.

[2] إيمان علاء الدين، "الحرب الروسية الأوكرانية: أسباب، وتداعيات"، فصلية قضايا ونظرات، العدد 26 (مصر: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، يوليوز 2022)، ص 35.

وردا على ذلك قامت روسيا بعمليتين عسكريتين منفصلتين ومتزامنتين. كانت العملية الأولى بغزو شبه جزيرة القرم وضمها في مارس 2014، أما العملية الثانية فتمثلت في تدعيمها لتمرد انفصالي عنيف في شرق أوكرانيا لوغانسك ودونيتسك[3].

إن عملية ضم شبه جزيرة القرم ساهمت بدورها في تأزم العلاقة بين الدوليتين. وبالرجوع إلى التاريخ نجد أن الصراع على القرم ليس وليدة اليوم، وإنما يعود إلى قرون[4]. ففي عام 1783 ضمتها الإمبراطورة "كاترين" رسميا إلى روسيا، وتحولت في عام 1921 إلى جمهورية تتمتع بالحكم الذاتي، وفي عام 1945 قام ستالين بتحويلها إلى مقاطعة تابعة لروسيا، ثم قام نيكيتا خروتشوف الأوكراني الأصل عام 1954 بالعدول عن هذا القرار ومنحها لأوكرانيا[5]. وفي مارس عام 2014 ضمت روسيا شبه جزيرة القرم إلى أراضيها مباشرة بعد انهيار نظام "فيكتور يانوكوفيتش"، وكانت هذه علامة فارقة وبداية لحرب غير معلنة. فالقرم تمثل لروسيا عمقا استراتيجيا وجيو–سياسيا وبعدا عسكريا وأمنيا.

وهو ما أكده الرئيس الروسي "بوتين" في هذا الإطار، حيث صرح بأن "موقع القرم على البحر الأسود له أهمية جيوسياسية، وأحد أسباب اتخاذ خطوة ضم شبه جزيرة القرم كان لتجنب زيادة نفوذ الحلف الأطلسي..."[6]. وجاء ضم روسيا لشبه جزيرة القرم بناء على طلب قدمه الرئيس الروسي "بوتين" إلى مجلس الاتحاد الروسي بشأن الموافقة على استعمال القوات المسلحة الروسية في أوكرانيا، وفي مارس عام 2014 تمت الموافقة على الطلب، وبالتالي ضم شبه جزيرة القرم والتدخل في إقليمها وفي مناطق شرق أوكرانيا. كما جاء في سياق الاستفتاء الذي تم إجراؤه في 16 مارس، حيث صوتت الأغلبية (نسبة 96%) الساحقة

[3]أحمد أمين، هبة رفعت وآخرون، "الأزمة الأوكرانية وتداعياتها على مستقبل النسق الدولي" (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى ماي 2022)، ص 8.

[4] شبه جزيرة القرم كانت جزءا من الدولة العثمانية في أجزائها الشمالية، بعد أن دخلها الإسلام في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي عن طريق الرحالة والتجار المسلمين، وكان معظم سكانها من أصول تركية، وكان شعبها مسلم حنفي المذهب، ولغتهم قريبة من العثمانية التركية، وعاداتهم وتقاليدهم تنبع من الدين الإسلامي وعادات الشعوب التركية. وبالتالي، فقد ساهمت مملكة القرم في ترسيخ الإسلام والدفع بمسيرة الحضارة الإسلامية، وأطلق عليا لاحقا اسم "التتار". وتسمية القرم تسمية تترية كانت تعني حينها القلعة، وكانت تضم مناطق ما يسمى اليوم "شبه جزيرة القرم" والأراضي المحيطة ببحر آزوف (في روسيا الآن) وشمال جزيرة القرم (في أوكرانيا اليوم). آنظر:أمين القاسم، "جغرافيا شبه جزيرة القرم وتاريخ التتار فيها"، تاريخ النشر: 03.03.2014، تاريخ الزيارة: 11.08,2022، الساعة: 10:35، الموقع: أوكرانيا بريس، http/ukrpress.net

[5]سهام حروري، انفال شواح، "تداعيات الأزمة الأوكرانية على النفوذ الروسي في المنطقة الأوراسية"، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد 10، العدد 3 (الجزائر: مخبر البحث الأمن في منطقة المتوسط، جامعة باتنة 1، جويلية 2021)، ص 729.

[6]سهام حروري، انفال شواح، م س، ص 732.

من سكان القرم على ضم القرم إلى روسيا، لتصبح بذلك جمهورية جديدة في روسيا الاتحادية رسميا في 18 مارس 2014[7].

وبعد ذلك ألقى الرئيس بوتين أمام مجلس الدوما خطابا قال فيه: "في قلوب الناس وعقولهم لطالما كانت القرم جزءا لا يتجزأ من روسيا. هذه القناعة الراسخة مبنية على الحقيقة والعدالة، وجرى نقلها من جيل إلى جيل بمرور الوقت، وتحت أي ظرف من الظروف، على الرغم من كل التغييرات الدراماتيكية التي مرت بها بلادنا خلال القرن العشرين بأكمله. لم تكن مهمتنا إجراء عملية عسكرية كاملة هناك، بل كانت ضمان سلامة الناس وأمنهم وخلق بيئة مريحة للتعبير عن إرادتهم"[8].

وما زاد العلاقة تعقيدا بين روسيا وأوكرانيا هو محاولة هذه الأخيرة الانضمام لحلف شمال الأطلسي (الناتو). ولمنعها من الانضمام قامت روسيا بدعم التمرد الانفصالي العنيف في شرق أوكرانيا الذي نتج عنه استقلال لوغانسك ودونيتسك في ماي 2014، نفس الأمر فعلته سابقا مع جورجيا سنة 2008 بدعمها للانفصاليين، الذي تم من خلالها إعلان إقليم أبخازيا جمهورية مستقلة، ومنع جورجيا من حسم نزاعها مع أوسيتيا الجنوبية. وقد استعملت روسيا هذه التمردات الانفصالية العنيفة كورقة رابحة لها لتحقيق أهدافها الجيو–سياسية.

الفقرة الثانية: الغزو الروسي لأوكرانيا: محاولة في قراءة في بعض الأسباب

انطلاقا من أهداف الغزو الروسي لأوكرانيا التي يسميها الرئيس "فلاديمير بوتين" ب"العمليات العسكرية الخاصة"، تبقى محاولة انضمام أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو)" والاتحاد الأوروبي **(أولا)**، وتطور التعاون العسكري والأمني والاستخباراتي بين أمريكا وأوكرانيا **(ثانيا)**، من بين الأسباب الرئيسية لإعلان روسيا الحرب على أوكرانيا لأن ذلك فيه تهديد لأمنها القومي وخرق لمجالها الحيوي والاستراتيجي.

أولا: محاولة انضمام أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي

لفهم تاريخ الواقع السياسي للحرب، نجد أن روسيا سمحت لمعظم دول وسط وشرق أوروبا ودول البلطيق الثلاث (استونيا ولاتفيا وليتوانيا) بالانخراط والانضمام إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو)، فيما تبنت مواقف صلبة أمام مساعي انفلات دول أخرى بعينها، وتحديدا الثنائي السلافي، بيلاروسيا وأوكرانيا. فأوكرانيا

[7] سهام حروري، انفال شواح، م س، ص 732.

[8] أحمد بن ضيف الله القرني، "أوكرانيا في الجيوبوليتيك الروسي"، (الرياض: المعهد الدولي للدراسات الإيرانية "رصانة"، 1443 هـ)، ص 18.

ذات مكانة مهمة تشكل عمقا استراتيجيا للمنطقة الروسية، وتنصب حاجزا يمنع التأثير الغربي الذي سعى منذ استقلال أوكرانيا في عام 1991 لضمها إلى حلف الناتو والاتحاد الأوروبي، نظرا لأهميتها الجيو-إستراتيجية والاقتصادية[9].

تدرك روسيا أنه مع توسع حلف "الناتو" شرقا تجاه المصالح الروسية تصبح قدرة روسيا على الدفاع عن أراضيها من التوغلات البرية والجوية والبحرية أكثر صعوبة. وبدأت روسيا تعيد قراءة نظرية "قلب العالم" التي حاول فيها "هالفورد ماكيندر" بيان أن من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على العالم، بقوله: "من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم، ومن يسيطر على قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم، ومن يسيطر على جزيرة العالم يحكم العالم"[10]. ولئن اعتبر "ماكيندر" أن أوروبا الشرقية وأوكرانيا هي مفتاح التوازنات العالمية وساحة للصراع بين روسيا وألمانيا في السابق، فإن المفكر الجيوبوليتيكي الروسي "الكسندر دوغين" ينظر إليها اليوم على أنها ساحة للتنافس بين روسيا الاتحادية والغرب المتمثل في حلف شمال الأطلسي. وبالتالي، فروسيا تدرك أن أوكرانيا هي قلب أوروبا الشرقية وأن انضمامها إلى حلف الناتو هو بمثابة تهديد لأمنها القومي من جهة، وخسارة لعمقها الاستراتيجي من جهة ثانية، وحرمانها من أن تكون قوة عالمية من جهة ثالثة.

وقد ذكر "بريجنسكي" في كتابه الشهير "رقعة الشطرنج الكبرى"، بأنه لا يمكن لروسيا من دون أوكرانيا أن تعود دولة عظمى، بل تتحول إلى دولة آسيوية فقط. بالمقابل، اعتبر أنه في حالة سيطرت روسيا على أوكرانيا، فيمكن لها أن تعيد بناء إمبراطوريتها من جديد[11].

إن روسيا تعي جيدا بأن موقع أوكرانيا جعلها ممرا للغزو الأوروبي التاريخي لها، حيث سبق وأن تعرضت للغزو مرات عدة من الممر الأوكراني سواء من قبل الجيش السويدي أو نابليون بونابرت أو الغزو الألماني في الحربين العالميتين الأولى والثانية. وبالتالي فهي تعتبرها نقطة ضعف كبيرة بالنسبة لها ولأمنها.

وفي ظل كل هذه التهديدات طالب الرئيس "بوتين" بضمانات أمنية بعدم قبول أوكرانيا في حلف شمال الأطلسي (الناتو) ووضع حد للدعم العسكري الأمريكي الأوروبي لكييف الذي من شأنه أن يشكل تهديدا لروسيا[12]. داعيا الكف عن تمدد حلف شمال الأطلسي (الناتو) شرقا، وإنشاء نظام أمني أوروبي يأخذ

[9] أحمد بن ضيف الله القرني، م س، ص 14/13.

[10] أحمد بن ضيف الله القرني، م س، ص 19.

[11] طارق عبود، "الأزمة الأوكرانية: هل تكون مدخلا لنظام دولي جديد؟"، (مصر: المعهد المصري للدراسات، دراسات سياسية، 1 أبريل 2022)، ص 4.

[12] أحمد أمين، هبة رفعت وآخرون، م س، ص 18.

بعين الاعتبار هواجس روسيا الأمنية[13]. بالموازاة مع ذلك، يعتبر الأمين العام لحلف الناتو "لينس ستولتنبرغ" بأن أمر الانضمام للحلف قرار سيادي، تختص به الحكومة الأوكرانية، ولا يحق لأي كيان خارجي آخر الوقوف أمام ما يخوله لها القانون والعرف الدوليين[14]. لكن روسيا اعتبرت ذلك أمرا خطيرا وأكدت بأنها لن تقبل بأي حال من الأحوال انضمام أوكرانيا لحلف الناتو، وتؤكد أن ذلك سيكون سببا كافيا لشن الحرب عليها.

وبالرغم من محاولات إبعاد الغرب عن أوكرانيا والوقوف أمام تمدد حلف شمال الأطلسي شرقا، إلا أن روسيا لم تفلح في ذلك وصارت تشعر بأن أوكرانيا تقترب من الانضمام إلى (الناتو)، فلجأت إلى استخدام القوة العسكرية كخيار وحيد لحماية ما تعتقد أنه حق لها وهو حماية أمنها القومي، والدفاع عن جمهوريتي دونيتسك ولوغانسك وحماية الأقليات من أصل روسي الذين يتعرضون لما أسماه بوتين "الإبادة الجماعية" التي يشنها النازيون الجدد ضدهم في الجمهوريتين.

وتظهر العلاقة بين توسع حلف الناتو وإعلان الحرب على أوكرانيا من خلال مظهرين أساسيين[15]:

المظهر الأول: يتضح من خلال أن استخدام القوة يؤثر على إمكانية انضمام أوكرانيا لحلف الناتو، لأن استخدام هذه القوة يؤدي إلى تثبيت الدعم الروسي لاستقلال دونتسيك ولوغانسك وهو ما يجعل لأوكرانيا حدود دولية متنازع عليها الأمر الذي يتعارض مع شروط العضوية لحلف الناتو، لأن الدولة التي تتقدم لطلب الانضمام إلى حلف الناتو يجب أن لا تكون لها أي حدود دولية متنازع عليها. نفس الشيء سبق وأن وقع لجورجيا سنة 2008 التي تقدمت بطلب العضوية لحلف الناتو إلا أن استخدام القوة العسكرية ضدها دعم استقلال كل من اورسيتيا الجنوبية وابخازيا، وبالتالي فهذا الاستقلال كان عائقا أمام انضمامها إلى حلف الناتو.

أما المظهر الثاني: فيعتبر الأكثر قلقا في ظل احتمال انضمام أوكرانيا لحلف الناتو منذ أن طرحت الفكرة محليا في أوكرانيا سنة 2003 عندما نص أحد قوانين الأمن القومي الأوكراني على أن الانضمام إلى حلف الناتو هو هدف مهم للسياسة الخارجية الأوكرانية، إذ تحمل العضوية الأوكرانية في الحلف من وجهة نظر الروس تهديدا لأمنها القومي وفشلا ذريعا لإستراتيجيتها الكبرى.

---

[13] هزت سعد، "مستقبل التحركات الروسية في الفضاء السوفيتي السابق"، آفاق إستراتيجية (مصر: مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مجلس الوزراء المصري، مارس 2022)، ص 79.

[14] "الهجوم الروسي على أوكرانيا وتداعياته على الخليج وإيران"، (الرياض: المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، فبراير 2022)، ص 7.

[15] حوسين بلخيرات، "الحرب الروسية الأوكرانية: الأبعاد التفسيرية على ضوء المنظورات الكبرى في العلاقات الدولية"، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 15، العدد 3 (الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2022)، ص 251/250.

وهكذا، يقدم المفكر الروسي "ألكسندر دوغين" في مقالة (2021) موسومة ب"أوكرانيا في اللعبة الكبرى"، اثنين من السيناريوهات في حالة استمرار طلب أوكرانيا الانضمام للناتو. ويتضمن السيناريو الأول تقسيم أوكرانيا إلى الضفة اليمنى الغربية ونوفوروسيا مع وضع خاص لكييف. أما السيناريو الثاني يتنبأ بحدوث صراع روسي غربي مسلح يمكن أن يؤدي إلى حرب كونية[16].

ثانيا: تطور التعاون العسكري والأمني والاستخباراتي بين أمريكا وأوكرانيا

شهد التعاون العسكري والأمني والاستخباراتي بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوكرانيا تطورا ملحوظا، حيث قدمت واشنطن لأوكرانيا عام 2021 ما يناهز 450 مليون دولار من المساعدات العسكرية[17]، وتفيد بعض التقارير أن أوكرانيا حصلت في الفترة من 2014–2021، على ما يقارب (5.6) مليار دولار من الولايات المتحدة الأمريكية شملت أسلحة ومعدات تدريب الجيش الأوكراني ودعم مكافحة التهديدات الأمنية السيبرانية، بالإضافة إلى الدعم الاستخباراتي لمواجهة التهديدات الروسية عبر ما يسمى ب"مبادرة المساعدة الأمنية الأوكرانية"، كما أقر حلف شمال الأطلسي (الناتو) حزمة من المساعدات الشاملة لتعزيز الإستراتيجية الدفاعية والأمنية في أوكرانيا[18].

التزمت واشنطن وحلفاؤها بأنهم سيقدمون دعما عسكريا لأوكرانيا، بما في ذلك أسلحة هجومية متقدمة، في حال أقدمت روسيا على غزوها. وساهم التسليح الأمريكي والغربي الكبير لأوكرانيا في تغيير موازين القوى على الأرض. ومنذ بدأ الغزو الروسي لأوكرانيا، قدمت أمريكا وحلفاؤها من الأوروبيين وحلف شمال الأطلسي "الناتو"، ومن خارجهما كاليابان وكوريا الجنوبية، مساعدات عسكرية متنوعة تقدر بمليارات الدولارات، شملت قاذفات صواريخ خفيفة، وطائرات هجومية من دون طيار، وأنظمة رادار وتعطيل اتصالات وتجسس[19]. ناهيك عن الدعم الاستخباراتي الذي تمثل في تقديم أمريكا معلومات استخباراتية حساسة مع أوكرانيا، كان لها دور كبير في توجيه عدد من الضربات الموجعة إلى روسيا، كما ساهمت هذه المعلومات في تحديد أهداف عسكرية روسية ومواجهتها[20]. إلى جانب أسباب أخرى، كالخطر النووي، الموقع

[16] حفيظة طالب، "مكانة أوكرانيا في الفكر الجيوبوليتيكي الروسي (1999–2022)"، مجلة السياسة العالمية، المجلد 6، العدد 2، (الجزائر: مخبر الدراسات السياسية والدولية، جامعة امحمد بوقرة بومرداس، السنة 2022)، ص 86.

[17] أحمد جلال محمود عبده، "السياسة الأمريكية تجاه التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا وانعكاساتها على حلف الناتو"، مجلة كلية السياسة والاقتصاد، العدد 16 (مصر: جامعة بني سويف، كلية السياسة والاقتصاد، أكتوبر 2022)، ص 429/428.

[18] عصام عبد الشافي، "الحرب الروسية الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي" (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 3 ماي/آيار 2022)، 3.

[19] أحمد جلال محمود عبده، م س، ص 428.

[20] أحمد جلال محمود عبده، م س، ص 428.

الاستراتيجي لأوكرانيا، وأهميتها الأمنية والعسكرية والاقتصادية والديمغرافية (17 % من سكان أوكرانيا من أصول عرقية روسية)..

إن إعلان روسيا الحرب على أوكرانيا هو إجراء استراتيجي تحاول روسيا من خلالها إعادة رسم الحدود الأوكرانية، وتغيير الخريطة الجيو–سياسية للعالم. وبالتالي، يمكن اعتبارها في الحد ذاتها "رسالة قوية" من الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" إلى الغرب –المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي– بأن روسيا دولة عظمى وقوية ولها وزنها في ميزان القوة العالمي وأنها لن تسمح بالمساس بأي حال من الأحوال بأمنها القومي ومجالها الحيوي والاستراتيجي.

المبحث الثاني: الرهان الجيوبوليتيكي للغزو الروسي لأوكرانيا: إحياء للنظرية الواقعية وتشكيل جديد للخريطة الجيو سياسية للعالم

لا شك أن طبيعة النظام العالمي مضطربة وفوضوية، وتأخذ أبعادا جيو–سياسية تهدد الأمن العالمي. وفي ظل هذه الفوضوية أعلنت روسيا الحرب على أوكرانيا لتعيد إحياء النظرية الواقعية في عالم تحكمه القوة والمصلحة والنزعة التوسعية **(الفقرة الأولى)**، وتحقيق رهاناتها الجيوبوليتيكية حماية لأمنها ومجالها الحيوي **(الفقرة الثانية)**.

الفقرة الأولى: الغزو الروسي لأوكرانيا: يعيد إحياء النظرية الواقعية في عالم فوضوية وغير محكوم

أثبت الغزو الروسي لأوكرانيا أن العالم يعيش مرحلة الفوضى والصراع، وهو ما يدعم القدرة التفسيرية للواقعية، ويعيد أهميتها في العلاقات الدولية. فالواقعية لا تدعو للحرب كخيار واحد، بل تعتبر اللجوء إليها شر لا بد منه بحكم قانون الصراع الموضوعي الذي يحكم ويضبط سلوكات الدول. وبالتالي، فالتصور الواقعي (الواقعية الهجومية) ينطلق من المسلمة الطبيعية الفوضوية للنظام الدولي، بمعنى عدم وجود حكومة عالمية أو سلطة مركزية تمتلك الحق والقدرة على فرض سيطرتها على أفعال الدول.

ويقول فريدريك شومان في هذا الإطار، في دراسة له في عام 1993 بأنه: "في ظل افتقاد النظام الدولي لحكومة عالمية، فإنه من الضروري لكل وحدة في هذا النظام أن تسعى لضمان أمنها اعتمادا على قوتها الذاتية، وأن تنظر بحذر إلى قوة الدول المجاورة"[21]. بمعنى أن غياب تلك الحكومة أو السلطة "يفرض على كل دولة الاعتماد على ذاتها فحسب لتحقيق مصالحها"[22]. هذا الوضع هو الذي قاد "جون ميرشايمر"

[21] توفيق بوستي، "مفهوم الأمن في منظورات العلاقات الدولية"، (مصر: المعهد المصري للدراسات، فبراير 2019)، ص 4.

[22] أحمد علي سالم، "الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية"، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، أغسطس 2016)، ص 34.

منظر الواقعية الهجومية الجديدة، في اتجاه اعتبار أن النظام الدولي "مجال وحشي تبحث فيه الدول عن فرص للاستفادة بعضها من بعض، ما يؤدي إلى غياب ما يبرر الثقة فيما بينهما"[23].

فالفوضوية هي التي تشجع الدول على الصراع والتنافس والحروب، والسعي إلى توسيع قوتها. ويبقى الأمن هو الغاية الأممي، وهو ما أكده "كينت والتز" بقوله: "في ظل الفوضى، الأمن هو الهدف الأممي لكن فقط عندما يكون بقاء واستمرارية الدول مضمونا، سبقت هذه الأخيرة عن أهداف أخرى مثل الهدوء والربح والقوة". ويرى ريمون أرون Reymond Aron أن "الأمن يتحقق بالقوة الذاتية للدولة أو بضعف المنافسين لها، وكل دولة تحاول مضاعفة مواردها للذهاب بأمنها لحدوده القصوى عن طريق الجمع بين القوة والأمن، من أجل فرض إرادتها على الدول الأخرى وعدم الخضوع لإرادة التفوق التي تمارسها دول أقوى منها"[24]. ويعتقد "جون ميرشايمر"، بأن الدول العظمى تحاول دائما الهيمنة في منطقتها وتحرص في نفس الوقت على أن لا تسيطر أي قوة عظمى منافسة على منطقة أخرى، والهدف الأساسي لكل قوة عظمى هو زيادة حصتها من النفوذ العالمي إلى أقصى حد[25].

هذه القوة جذورها ضاربة في عمق التاريخ، ففي الفكر اليوناني القديم نجد "أرسطو" في كتابه "السياسة" يعرفها بأنها: "تلك الإمكانية التي تتوفر لبعض أفراد المجتمع السياسي لجعل الآخرين يفعلون ما لم يكونوا فاعليه من تلقاء أنفسهم، وحتى تتضح فعالية القوة لا بد من ممارستها فيرضخ الآخرون لطلب صاحب القوة وينفذون إرادته". أما "توماس هوبز" فيعرفها بأنها: "الوسيلة أو الوسائل المتاحة في وقت معين للحصول على خير مستقبلي واضح"[26].

في حين يعرفها "ماكس فيبر" بأنها: "احتمال قيام شخص ما في علاقات اجتماعية بتنفيذ رغباته رغم مقاومة الآخرين، بغض النظر على الأساس الذي يقوم عليه ذلك الاحتمال"، وقريب من هذا التعريف يعرف "روبرت دال" القوة بأنها: "القدرة على جعل شخص آخر يقوم بعمل لم يكن ليقوم به بغير ذلك". ويعتبرها "هانز مورغانتو" بأنها: "القدرة على التحكم في أفكار وأفعال الآخرين"، في إشارة واضحة إلى عنصري القوة:

---

[23] علي الجرباوي، ولورد حبش، "النظرية الواقعية في مواجهة أحادية القطبية الدولية"، مجلة سياسات عربية، العدد 38 (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ماي 2019)، ص 31.

[24] أحسن العايب، "الأمن العربي بين متطلبات الدولة القطرية ومصالح الدول الكبرى 1945-2006 "،أطروحة دكتوراه (كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر ، 2008)، ص 18.

[25] سارة بومطرق، إيمان بومعزة، "التصورات ما بعد الحداثية حول الأمن"، مذكرة الماستر (الجزائر: جامعة محمد الصديق بن يحي-جيجل، كلية الحقوق والعلوم السياسية، السنة الجامعية 2015/2014)، ص 16.

[26] خالد الحراري، "مفهوم القوة في السياسة الدولية"، مجلة المستقبل (مصر: مطابع الأهرام، مارس 2015)، ص 12.

الإمكانيات والفعل[27]. والسياسة الدولية ككل كما يؤكد مورغانتو هي صراع مستمر من أجل القوة وليس وفقا لقواعد الأخلاق.

في خضم كل ذلك، تعيد الأزمة الروسية الأوكرانية البريق إلى القوة الخشنة بكل مكوناتها العسكرية والاقتصادية والسياسية، رغم الترويج لأهمية "القوة الناعمة" بروافدها الاقتصادية، الثقافية، الإعلامية، الإنسانية والدينية.. في تدبير النزاعات والأزمات وتحقيق المصالح[28]. وأشار "جوزيف ناي" حول الأزمة الروسية الأوكرانية، إلى أن أمريكا قد لا تكون واقعية في سياساتها الخارجية تجاه الأزمة، وطرح "ناي" ما أسماه "الواقعي الذكي"، وهو الذي في نظره يجيد استعمال أشكال القوة الثلاث: الإكراه، الدفع والجذب (القوة الناعمة[29])، ففي حرب أوكرانيا كان من المفروض استعمال الواقعية الذكية، ويكون هذا بعدم الإصرار على ضم أوكرانيا إلى حلف الناتو، لكن في المقابل عدم التخلي عن التحالف معها ضد روسيا[30].

فروسيا تفرض مبادئ النظرية الواقعية (الهجومية) التي تؤكد على ضرورة امتلاك الدول لقدرات هجومية من أجل الدفاع عن مصالحها القومية. حيث استعملت القوة العسكرية كآلية لتحقيق مصالحها القومية، انطلاقا من حماية أمنها القومي ومجالها الحيوي، وبالتالي الدفاع عن نفسها من كونها أصبحت محاصرة جيوسياسيا، بخلق مناطق عازلة بينها وبين حلف الناتو الذي أصبح يتوسع شرقا، فضلا عن محاولة توسيع مجالها الجغرافي بإحياء أمجاد الاتحاد السوفيتي.

من هنا برز المفهوم الواقعي الكلاسيكي "معضلة الأمن"، حيث يشير "ستيفن والت" في مقاله (هل لا زال هناك من يفهم معضلة الأمن؟) الذي نشره موقع "فورين بوليسي" بتاريخ 26 يوليوز 2022، أن "معضلة الأمن" مفهوم مركزي في الدراسات الأكاديمية المرتبطة بالسياسات الدولية والسياسة الخارجية، صاغها جون هيرز لأول مرة سنة 1950 ثم حللها لاحقا علماء مثل "روبرت جيرفيس" و"تشارلز" وآخرون، وهي تصف كيف أن الإجراءات التي تتخذها دولة ما لجعل نفسها أكثر أمنا –تكثيف عملية التسلح، وضع

[27] خالد الحراري، م س، ص 13.

[28] إدريس لكريني، "الحرب الروسية في أوكرانيا وعودة القوة الخشنة"، مجلة عسكرية إستراتيجية، العدد 606، السنة 50 (الإمارات العربية المتحدة: وزارة الدفاع، الإدارة التنفيذية للاتصال الدفاعي، يوليو 2022)، ص 64.

[29] في تعريفه الشهير عرف "جوزيف ناي" القوة الناعمة ب "قدرة الدولة على الحصول على ما تريده بالاعتماد على الجاذبية بدلا من الإكراه"

[30] أسماء بن مشيرح، "جيوبوليتيك التدخل الروسي في أوكرانيا: بين طموحات الأوراسية الجديدة وقيود المأزق الأمني"، مجلة مدارات سياسية، المجلد 7، العدد 2 (الجزائر: مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، 2023)، ص 279.

القوات العسكرية في حالة تأهب، تشكيل تحالفات جديدة– تميل إلى جعل الدول الأخرى أقل أمنا، ما يدفعها إلى الرد بالمثل، والنتيجة هي دوامة العداء لا تترك أيا من الجانبين في وضع أفضل من ذي قبل[31].

وبالتالي، فقد برز مفهوم "معضلة الأمن" من خلال موقف روسيا من توسع حلف الناتو نحو الشرق (في الفضاء السوفييتي سابقا)، رغم تأكيدات حلف الناتو كونه تحالفا دفاعيا، ولا يحمل أي عدوان ضد روسيا، وأنه أداة رئيسية لضمان الأمن والاستقرار، إلا أن معضلة الأمن تبرز في المخاوف الروسية من توسيع حلف الناتو شرقا الذي يشكل تهديدا لأمنها، وتعكس كذلك هواجس حقيقية من فقدان نفوذها في دول الجوار. وكما يوضح "ستيفن والت" فإن روسيا لها أسباب وجيهة لاعتبار هذا التوسع تهديدا لها ولأمنها القومي، ما يدفعها للرد على نحو غير مرغوب فيه، مثل الاستيلاء على القرم أو غزو أوكرانيا[32]. وبالتالي، فهي تسعى –إلى جانب ذلك– إلى إعادة تشكيل النظام الدولي ورفض الهيمنة الأمريكية، والمساهمة في إعادة هيكلة توازنات القوى في المنطقة الاوراسية.

الفقرة الثانية: إعادة تشكيل الخريطة الجيوسياسية للعالم: دراسة في البعد الجيوبوليتيكي للغزو الروسي لأوكرانيا

يعتبر العالم السياسي السويدي "رودولف كيلين" أول من استخدم مصطلح " الجيوبوليتيك" وعرفها على أنها "علم الدولة كجسم جغرافي متجسد في المكان"[33]. كما حاول تطوير علم السياسة بخلق أربعة مجالات فرعية ومتلازمة له إلى جانب الجيوبولتيكية، وهي[34]:

- الإيكوبولوتيكا لدراسة الدولة كقوة اقتصادية.
- الديموبوليتيكا لدراسة الدوافع الديمغرافية للدولة.
- السوسيوبوليتيكا لدراسة الجانب الاجتماعي للدولة.
- الكراتوبوليتيكا لدراسة صيغ الحكم والسلطة في علاقاتهما مع قضايا الحقوق والعوامل الاجتماعية–الاقتصادية.

[31] إيمان أحمد عبد الحليم، "كيف يفسر مفهوم معضلة الأمن العلاقات الدولية الراهنة"، تاريخ النشر: 28 يوليوز 2022، تاريخ الزيارة: 09 يناير 2023، الساعة: 20:10، الموقع: إنتريجونال للتحليلات الإستراتيجية، https://www.interregional.com/security-dilemma/

[32] إيمان أحمد عبد الحليم، م س.

[33] الكسندر دوغين، "أسس الجيوبولتيكا مستقبل روسيا الجيوبولتيكي"، تعريب عماد حاتم (بيروت: دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى 2004)، ص 81.

[34] الكسندر دوغين، م س، ص 81.

وتعنى الجيوبوليتيك أو الجيوسياسية بدراسة تأثير السلوك السياسي لصناع القرار في وحدة دولية ما، في زحزحة وتغيير الأبعاد الجغرافية (حدود المكان) لتلك الدولة تجاه الوحدات الدولية الأخرى، إلى حيث تقف مصالحها، والبحث عن الاحتياجات التي تتطلبها هذه الدولة لتنمو وتتمدد إلى ما وراء الحدود، وبعبارة أخرى تعنى الجيوبوليتيك بالسياسة المتعلقة بالسيطرة على الأرض وبسط نفوذ الدولة في أي مكان تستطيع الوصول إليه، فالنظرة الجيوسياسية لدى دولة ما على المستوى الإقليمي أو الدولي تتعلق برغبتها في أن تكون لاعبا فاعلا ومؤثرا في أوسع مساحة ممكنة في حدود أهدافها وطموحاتها[35]. وفي سياق ارتباطها "بشكل وثيق بالجغرافيا الإستراتيجية التي تهتم بالسيطرة على المناطق المؤثرة في أمن الدول ورفاهيتها وتأمين الوصول إليها"[36]، تقدم نظرية الصراع وفقا للجيوبوليتيك ثلاثة مصادر رئيسية للصراع الإقليمي و/أو الدولي وهي[37]:

1- الصراع من أجل السيطرة على المناطق الجغرافية

2- الصراع من أجل السيطرة على الموارد

3- الصراع من أجل الهيمنة الأيديولوجية والمذهبية.

فهذه الصراعات أصبحت اليوم مستقرة في ما بات يعرف ب"الأوراسية" كمنطقة تحولت إليها القوى الدولية بحكم موقعها الجيوبولتيكي، وهو ما يؤكده الجيوبولتيكي الأمريكي "زبيغنيو بريجنسكي" الذي يعتبر أن الصراع العالمي بعد نهاية الحرب الباردة اتخذ أبعادا، وبات يشمل الساحتين الأوروبية والآسيوية (الأوراسية).

لم تكن أوكرانيا بعد حصولها على الاستقلال ضمن أجندات السياسة الخارجية الأمريكية، فواشنطن لم تكن تدرك الأهمية الجيو-سياسية لأوكرانيا في منطقة أوراسيا، فقد كانت منشغلة بتفكيك الترسانة النووية في أوكرانيا، بيلاروسيا، وكازاخستان. وهكذا لم يدرك الغرب هذه الأهمية الجيو-سياسية لأوكرانيا إلا في أواخر التسعينات، بعد أن اكتشف أهميتها في إستراتيجية روسيا لإعادة بناء قوتها في المجال الأوراسي. وأمام هذا الوضع، بدأ الغرب ينظر إلى سياسة روسيا تجاه أوكرانيا كجزء من التحدي الروسي للنظام العالمي

[35] محمد بن صقر السلمي، عبد الرؤوف مصطفى الغنيمي، "الجيوبوليتيك الشيعي.. الواقع والمستقبل"، مجلة الدراسات الإيرانية، العدد الأول، السنة الأولى (الرياض: مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، 2016)، ص 24.

[36] عماد قدورة، "محورية الجغرافيا والتحكم في البوابة الشرقية للغرب: أكرانيا بؤرة للصراع"، مجلة سياسات عربية، العدد 9 (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يوليو 2014)،ص 45.

[37] محمد بن صقر السلمي، عبد الرؤوف مصطفى الغنيمي، م س، ص 26.

الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية مند نهاية الحرب الباردة، وفي ظل هذه الصراعات تحولت أوكرانيا إلى بؤرة رئيسية للتوترات بين روسيا والغرب بسبب موقعها الجيوبوليتيكي[38].

فروسيا ومن خلال سياستها تجاه أوكرانيا تحاول إحياء نظرية "ماكندر" (قلب العالم) حول "المحور الجغرافي للتاريخ" الذي تكون فيه هي قلب الأرض الجديدة وتتجه للهيمنة والسيطرة على الأرض المحورية في الكتلة القارية الأوراسية، وإدخال مبدأ "العدو المشترك" كعنصر أساسي في البيئة الجيوبوليتيكية الجديدة لروسيا، ويعتبر رفض الهيمنة الأطلسية والسيطرة الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية ومناهضة العولمة الليبرالية وقيم السوق، من المكونات الرئيسية التي تمثل مبدأ "العدو المشترك" الذي يفتح الطريق إلى خلق التحالفات الإستراتيجية بين القوى الإقليمية والعالمية التي تتقاسم ذات النظرة تجاه "العدو المشترك"، كالصين، الهند وإيران، وتطلعها المشترك إلى التخلص من الأحادية القطبية وبناء نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب[39]. واعتبر "ماكندر" أن المنطقة "الأوراسية" هي الأكثر أمانا ككتلة قارية إستراتيجية تتوفر على حواجز طبيعية ضد الهجمات الخارجية، إضافة إلى إمكانية بناء إمبراطوريات كبيرة بها[40]. وبالتالي فروسيا مادامت ترغب في أن تبقى قوة كبرى، فهي تحتاج –كما يؤكد المفكرون الروس– إلى أن تبقى المحور الاستراتيجي المتحكم في أوراسيا[41].

في المقابل، نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية لازلت متأثرة بنظرية "الحافة" للجيوبوليتيكي الأمريكي "نيكولاس سبيكمان" الذي يقدم المشورة والنضج، لإرساء نظام عالمي بهوية أمريكية، بتعظيمه دور القوة الأمريكية في الدود عن الحافة بقوله: "إن الذي يسيطر على الحافة يحكم أوراسيا، والذي يسيطر على أوراسيا يتحكم في مصائر العالم". موزعا فضاء "الحافة" إلى أربع مناطق: أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط وآسيا[42]. فهو يؤكد على قدرة القوى البحرية على مواجهة القوى البرية في المحور الأوراسي، بتطويقه بأحلاف أمنية عسكرية، لحرمان قوى المحور من الوصول إلى البحر. ويدور التنافس والصراع على القوة

[38] زينب عبد العال سيد رمضان، "تداعيات الأزمة الجيوبوليتيكية الروسية الأوكرانية على النظام العالمي: دراسة في الجغرافيا السياسية"، مجلة كلية الآداب، العدد 56، (قنا–مصر: جامعة جنوب الوادي، أكتوبر 2022)، ص 395.

[39] لزهر وناسي، "التفاعلات الإستراتيجية في آسيا الوسطى دراسة في العلاقات بين مثلث القوة الولايات المتحدة الأمريكية–الصين–روسيا"، أطروحة الدكتوراه (كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج الخضر باتنة، السنة الجامعية: 2014/2013)،ص 218/217.

[40] أسماء بن مشيرح، "التنافس الجيو–إستراتيجي في جنوب آسيا: دراسة لمثلث القوة الولايات المتحدة الأمريكية– الصين– الهند" أطروحة الدكتوراه (الجزائر: جامعة باتنة 01 الحاج لخضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، السنة الجامعية: 2022/2021)، ص 51.

[41] عماد قدورة، م س، ص 49.

[42] كاظم هاشم نعمة، "المحور الجيوبوليتيكي العربي الإسلامي وعملية هيكلة النظام الدولي: نحو مقاربة جديدة"، مجلة سياسات عربية، العدد 43 (الدولة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مارس 2020)،ص 9.

والهيمنة والإمبراطورية العالمية في ميدان الحافة، وليس في فضاء قلب العالم لبناء نظام دولي، كما يقول "ماكندر" في نظريته "قلب العالم–أوراسيا"[43].

وبالرجوع إلى الحرب الروسية الأوكرانية نلاحظ أنه بالرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية تعهدت بعد سقوط جدار برلين (1989) بعدم تقدم الحلف نحو الشرق، إلا أنها لم توفي بوعودها، وأصبحت واشنطن وحلف الناتو قريبين من الحدود الروسية في ظل الوجود العسكري في أوكرانيا ودول البلطيق الثلاث شمال أوروبا (لاتفيا، واستونيا، وليتوانيا) وبولندا وجورجيا. وهو بات يشكل تهديدا على الأمن القومي والاستراتيجي الروسي وخرقا لمجالها الحيوي. الأمر الذي جعل بوتين يعلن الحرب على أوكرانيا، لأن أوكرانيا في نظر روسيا الحصن الاستراتيجي الذي يعزلها عن الغرب.

أكثر من ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تطمح كذلك –حسب تصور بريجنسكي– إلى السيطرة على "طريق الحرير" أو ما يسمى بـ"الحزام والطريق" الذي تشرف عليه الصين باعتباره مؤشرا للسيطرة على العالم، من خلال السيطرة على الأراضي الواقعة ما بين أوروبا الغربية والشرقية مرورا بالقوقاز وآسيا الوسطى إلى الهند والصين، وتمر هذه السيطرة عن طريق السيطرة على أوكرانيا ومنافذها البحرية[44].

وهكذا أعطت روسيا الأولوية للأخطار الجيوبوليتيكية والجيو–إستراتيجية على المصالح الخارجية، بالرغم من تعدد مظاهر الاعتماد الاقتصادي المتبادل بينها وبين الغرب. ويعتبر مطلب عدم السماح لأوكرانيا بالانضمام لحلف الناتو مطلب جغرافي بامتياز، وتدخلها العسكري يهدف أساسا إلى السيطرة على النطاق الجغرافي، الذي يمكن أن يشكل مصدر تهديد لها ولأمنها القومي ومجالها الحيوي[45]. وبالتالي، فضم شبه جزيرة القرم (2014)، وإعلان الحرب على أوكرانيا (2022) يشيران إلى محاولة روسيا تأكيد حقها الجيوبوليتيكي في مناطق مصالحها المميزة، كما عملت سابقا على فصل أراض من جورجيا (2008) حين اعترفت باستقلال إقليمها أبخازيا وأوسيتا الجنوبية[46]. هنا نستحضر رسالة الرئيس الروسي "بوتين" التي وجهها في أواخر عام 1999 حينما كان رئيسا بالوكالة وحملت عنوان "روسيا على عتبة الألفية الثالثة"،

[43] كاظم هاشم نعمة، م س، ص 9.

[44] بلوشة أميرة، بوشنافة شمسة، "الصراع الأمريكي الروسي في ظل الأزمة الأوكرانية"، مجلة دفاتر السياسة والقانون، المجلد 13، العدد 03 (الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2021)، ص 492.

[45] زينب عبد العال سيد رمضان، م س، ص 423.

[46] عماد قدورة، م س، ص 50.

التي أصبحت تعرف لدى المتخصصين بالشؤون الروسية ب "رسالة الألفية"[47] التي بدأت تتجسد فعليا بتوسيع رقعتها الجغرافية.

يؤكد العالم والجيوبوليتكي الألماني "فريديريك راتزل" أن الدولة لكي تحافظ على بقائها يجب عليها أن تتوسع جغرافيا وتحصل على المساحة الضرورية التي تشكل لها ما يسمى ب"المجال الحيوي" Lebensraum، وشبه الدولة بالكائن الحي الذي هو بحاجة للنمو العضوي، ويكون نمو الدولة هنا عن طريق التوسع والمستعمرات والاستحواذ على السهول والمناطق الغنية بالثروات الطبيعية والأنهار التي توفر المياه. هذه هي الفكرة التي دفعت ألمانيا النازية للتوسع شرقا، وذكر زعيم ألمانيا "أدولف هتلر" في كتابه الشهير "Mein Kampf" بأن الشعب الألماني بحاجة إلى الأراضي والموارد الطبيعية، والتي سيجدها إذا اتجهت الدولة الألمانية للتوسع شرقا[48]. ولهذا، نجد أن الغزو الروسي لأوكرانيا أعاد الاعتبار للجيوبوليتيكية باعتبارها هي الفاعل الأساسي في اندلاع هذا الغزو. وبعد هذا الغزو ظهرت بوضوح الامتدادات الجيوبوليتيكية لهذه الأزمة عبر ثلاث مستويات، وهي[49]:

الامتداد الشمالي: نحو بحر البلطيق، حيث يشكل الخروج من مشكلة الشمال و"الانحراف القطبي" الذي طرحه "دوغين" هدفا مهما للتحرك الاستراتيجي الروسي في أوكرانيا، حيث وبعيدا عن إعمار سيبيريا (التي أطلق عليها ماكيندر تسمية اللينالاند)، تبحث روسيا عن امتداد –ضمن حاجز من دول البلطيق– يصد توسع حلف الناتو.

الامتداد الجنوبي: نحو البحر الأسود وجنوب القوقاز، وهي منطقة تدخل وقائي بالنسبة لروسيا، حيث وبعد أزمة جورجيا (2008) اكتسبت هذه الأخيرة أهمية جيوبوليتيكية كبرى باعتبارها معبرا مهما من البحر الأسود نحو بحر قزوين الغني بالموارد النفطية، ثم شرقا نحو آسيا الوسطى التي أصبحت بفعل موقعها الاستراتجي محورا للتنافس الدولي التي تهدف إلى الاستفادة من موقعها الجغرافي ومن مواردها الاقتصادية الغنية.

الامتداد الغربي: نحو أوروبا، فعلى الرغم من أن مشكلتي الشمال والجنوب لهما أهمية في المستقبل القريب لروسيا، إلا أن المسألة الأوكرانية ضمن الامتداد الغربي هي المسألة الأكثر خطورة وأهمية.

[47] بشارة عزمي، "روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو: تأملات في الإصرار العجيب على عدم تجنب المسار المؤدي إلى الحرب"، سلسلة دراسات (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، فبراير 2022)، ص 1.

[48] أسماء بن مشيرح، "التنافس الجيو–إستراتيجي في جنوب آسيا: دراسة لمثلث القوة الولايات المتحدة الأمريكية– الصين– الهند" م س، ص 48.

[49] أسماء بن مشيرح، "جيوبوليتيك التدخل الروسي في أوكرانيا: بين طموحات الأوراسية الجديدة وقيود المأزق الأمني"، م س، ص 276/275.

وبالتالي، تسعى روسيا من خلال هذا الغزو إلى تحقيق أهدافها الجيوبوليتيكية التي تتمثل في نقطتين:

الأولى: السيطرة على المناطق الأوكرانية ذات الأهمية الجيوبوليتيكية الغنية بالموارد والثروات الطبيعية، كإقليم دونباس ومدينة خيرسون وميليتوبول وباخموت وغيرها من المناطق التي تطمح روسيا لضمها ومواصلة توسعها وإحياء تاريخ الاتحاد السوفياتي، معتمدة في ذلك على "النظرية العضوية" و"المجال الحيوي" للجيوبوليتيكي الألماني "فريدريش راتزيل" مؤسس الجغرافيا السياسية. أما **الثانية:** تتمثل في الدفاع عن أمهنا القومي والاستراتيجي ومجالها الحيوي، ورسم مستقبلها بالمنطقة الأوراسية التي تشمل أوكرانيا ذات الموقع الجيوبوليتيكي المهم التي تجعل منها "الشرطي" الضامن لاستقرارها الجيوسياسي من خلال التصدي للغرب وحمايتها من محاولة احتوائها وتطويقها من تمدد حلف الناتو شرقا نحو حدودها.

وفي الختام نقدم بعض السيناريوهات لمستقبل الحرب الروسية الأوكرانية:

السيناريو الأول: بأن الحرب لن تنتهي إلا حين تحقيق روسيا أهدافها الجيو سياسية والتي تتمثل في تخلي الحلف عن أي نشاط عسكري في أوكرانيا، وعودة هذه الأخيرة موالية لروسيا أو على الأقل الحصول على ضمانات أمنية لكي تبقى محايدة ولا تنضم إلى حلف الناتو. وبالتالي، يبقى الفوز بمكاسب جيو سياسة هو أبرز رهان لروسيا البوتينية. **السيناريو الثاني:** هزيمة روسيا وتحقيق أوكرانيا والغرب أهدافهما ألا وهي ضم أوكرانيا وجورجيا لحلف الناتو والاقتراب من الحدود الروسية، وبقاء أميركا قوة مهيمنة، مقابل إضعاف قوة روسيا وهيمنتها على العالم. **السيناريو الثالث:** استمرارية الحرب بيم الطرفين لسنوات طويلة، وهذا ما نلاحظه من خلال مساعدة ودعم الغرب لأوكرانيا لكي لا تخسر الحرب وتستلم بيد الروس، وتجنب الغرب المواجهة المباشرة مع روسيا التي قد تؤدي إلى حرب عالمي ثالثة. **السيناريو الرابع:** فتح أبواب التفاوض بين روسيا وأوكرانيا، لأن استمرارية الحرب لسنوات طويلة تؤدي في أخر المطاف إلى خسائر كبيرة، وبالتالي تتعب الأطراف مما يجعلهم يطرقون أبواب المفاوضات.

نستنتج من خلال دراستنا للموضوع ما يلي:

1. إن الأزمة الروسية الأوكرانية في الواقع ليست أزمة جديدة وإنما هي أزمة موجودة منذ قدم.
2. إن محاولة انضمام أوكرانيا لحلف الناتو وتطور التعاون العسكري والأمني والاستخباراتي بين أمريكا وأوكرانيا والنزعة التوسعية لبوتن من بين الأسباب الرئيسية لإعلان روسيا الحرب على أوكرانيا.

3. إن النظرية الواقعية تؤكد بأن العالم ميزته الصراع مادام لا توجد فيه حكومة عالمية تضمن السلام العالمي. أما الجيوبوليتيكية فهي توجه جديد لروسيا لمنع تمدد حلف الناتو وضمان أمنها القومي والاستراتيجي، والسيطرة على أهم المناطق الأوكرانية وإبراز مكانتها في المنطقة الأوراسية بأكملها وليس أوروبا الشرقية فقط، بهدف فرض توازنات إقليمية وأخرى دولية جديدة تعيد النظر في طبيعة النظام الدولي الأحادي، بمنح روسيا فرصة الظهور كقطب دولي منافس للزعيم الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن أهم نتائج الدراسة:

1. أن النظريتين الواقعية والجيوبوليتيكية توضحان الواقع الدولي الفوضوي الذي تلعب فيه القوة والمصلحة والسيطرة دورا رئيسيا.
2. الحرب الروسية الأوكرانية هي حرب في الأصل بين روسيا وأميركا، وبذلك سيكون لها تأثير لا محالة في ميزان القوى الدولي، حيث ستتغير سيكولوجية النظام الدولي بشكل رسمي بعد انتهاء الحرب.
3. أن المنظمة الأممية تحولت في كثير من الأزمات إلى أداة في يد الدول الكبرى ولاسيما من الأعضاء الدائمين لمجلس الأمن، ما أدى إلى فقدان استقلالها وحيادها، وأصبح دورها محدودا. ولذلك، فنحن اليوم أمام "مأزق أمني دولي" يعود بنا إلى زمن القوة والفوضى، الأمر الذي بات يسائل المنظمة الأممية التي تعهدت بحفظ الأمن والسلم الدوليين.

المصادر والمراجع:

أولا- الكتب:

1. إبراهيم حردان مطر، "رهانات الحرب الروسية على أوكرانيا واحتمالاتها"، ضمن كتاب جماعي 'جيوبوليتيك الأزمة الترهل القطبي في عالم ما بعد الحرب الباردة" (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والإستراتيجية والاقتصادية، الطبعة الأولى 2022).
2. أحمد أمين، هبة رفعت وآخرون، "الأزمة الأوكرانية وتداعياتها على مستقبل النسق الدولي" (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية الأوكرانية ومعطيات والاقتصادية، الطبعة الأولى ماي 2022).
3. أحمد علي سالم، "الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية"، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، أغسطس 2016).

4. تارا طه عثمان، "النظرية الليبرالية والعلاقات الدولية" (السليمانية: منشورات مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية).
5. حسن أبو طالب، "روسيا وتقسيم أوكرانيا.. خطوة لتصحيح أخطاء التاريخ" ضمن ملفات "الحرب الروسية- الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي" (مصر: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، يوليو 2022).
6. علاء عبد الحميد عبد الكريم، "دور الأمم المتحدة في تسوية الأزمة السورية" (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى 2018).
7. علي أحمد عبد مرزوك، "مضادات الهشاشة الوطنية من منظور الأمن المجتمعي دراسة في الارتباطات الأمنية المعاصرة لمناهضة مسببات الهشاشة"، في مؤلف جماعي، "الأمن الصحي كأحد مهددات الأمن القومي والمجتمعي العالمي" (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى 2020).

ثانيا- المقالات:

1. "الهجوم الروسي على أوكرانيا وتداعياته على الخليج وإيران"، (الرياض: المعهد الدولي للدراسات الإيرانية،2022).
2. أحمد بن ضيف الله القرني، "أوكرانيا في الجيوبوليتيك الروسي"، (الرياض: المعهد الدولي للدراسات الإيرانية "رصانة"، 1443 هـ).
3. إدريس لكريني، "الحرب الروسية في أوكرانيا وعودة القوة الخشنة"، مجلة عسكرية إستراتيجية، العدد 606، السنة 50 (الإمارات العربية المتحدة: وزارة الدفاع، الإدارة التنفيذية للاتصال الدفاعي، يوليو 2022).
4. إيمان علاء الدين، "الحرب الروسية الأوكرانية: أسباب، وتداعيات"، فصلية قضايا ونظرات، العدد 26 (مصر: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، يوليوز 2022).
5. بلوشة أميرة، بوشنافة شمسة، "الصراع الأمريكي الروسي في ظل الأزمة الأوكرانية"، مجلة دفاتر السياسة والقانون، المجلد 13، العدد 03 (الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2021).
6. توفيق بوستي، "مفهوم الأمن في منظورات العلاقات الدولية"، (مصر: المعهد المصري للدراسات، فبراير 2019).

7. حفيظة طالب، "مكانة أوكرانيا في الفكر الجيوبوليتيكي الروسي (1999–2022)"، مجلة السياسة العالمية، المجلد 6، العدد 2، (الجزائر: مخبر الدراسات السياسية والدولية، جامعة امحمد بوقرة بومرداس، السنة 2022).
8. حوسين بلخيرات، "الحرب الروسية الأوكرانية: الأبعاد التفسيرية على ضوء المنظورات الكبرى في العلاقات الدولية"، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 15، العدد 3 (الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2022).
9. رضا شوادرة، "الأمن الدولي والدراسات الأمنية بين الاتجاه التفسيري والطرح الإنساني الشامل"، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، العدد 28، السنة 2018، ص 162.
10. زينب عبد العال سيد رمضان، "تداعيات الأزمة الجيوبوليتيكية الروسية الأوكرانية على النظام العالمي: دراسة في الجغرافيا السياسية"، مجلة كلية الآداب، العدد 56، (قنا–مصر: جامعة جنوب الوادي، أكتوبر 2022).
11. سهام حروري، انفال شواح، "تداعيات الأزمة الأوكرانية على النفوذ الروسي في المنطقة الأوراسية"، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد 10، العدد 3 (الجزائر: مخبر البحث الأمن في منطقة المتوسط، جامعة باتنة 1، 2021).
12. شوقي عرجون، "الروافع النظرية والركائز التأسيسية للجيوبوليتيك النقدية"، المجلة الأكاديمية للبحوث القانونية والسياسية، المجلد 5، العدد 2 (الجزائر: جامعة عمار ثليجي الأغواط، 2021).
13. شيماء عويس، "القوة في العلاقات الدولية دراسة تأصيلية"، (مصر: المعهد المصري للدراسات، دراسات سياسية، أكتوبر 2018).
14. طارق عبود، "الأزمة الأوكرانية: هل تكون مدخلا لنظام دولي جديد؟"، (مصر: المعهد المصري للدراسات، دراسات سياسية، 1 أبريل 2022).
15. عبد الله هوادف، "هل تحق الديمقراطية السلام؟ مراجعة عامة لنظرية السلام الديمقراطي"، مجلة دراسات إستراتيجية، العدد 17 (الجزائر: مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، 31 مارس 2012).
16. عصام عبد الشافي، "الحرب الروسية الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي" (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 3 ماي/آيار 2022).

17. علي الجرباوي، ولورد حبش، "النظرية الواقعية في مواجهة أحادية القطبية الدولية"، مجلة سياسات عربية، العدد 38 (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ماي 2019).

18. عماد قدورة، "محورية الجغرافيا والتحكم في البوابة الشرقية للغرب: أكرانيا بؤرة للصراع"، مجلة سياسات عربية، العدد 9 (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، يوليو 2014).

19. كاظم هاشم نعمة، "المحور الجيوبوليتيكي العربي الإسلامي وعملية هيكلة النظام الدولي: نحو مقاربة جديدة"، مجلة سياسات عربية، العدد 43 (الدولة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مارس 2020).

20. محمد بن صقر السلمي، عبد الرؤوف مصطفى الغنيمي، "الجيوبوليتيك الشيعي.. الواقع والمستقبل"، مجلة الدراسات الإيرانية، العدد الأول، السنة الأولى (الرياض: مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، 2016).

21. هزت سعد، "مستقبل التحركات الروسية في الفضاء السوفيتي السابق"، آفاق إستراتيجية (مصر: مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار–مجلس الوزراء المصري، مارس 2022).

ثالثا– الأطروحات والرسائل الجامعية:

أحسن العايب، "الأمن العربي بين متطلبات الدولة القطرية ومصالح الدول الكبرى 1945–2006 "،أطروحة دكتوراه (الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة بن يوسف بن خدة، 2008).